"النسخ و موقف القنوجي رحمه الله فيه و اهتمام قواعده في تفسيره "فتح البيان"

The view point and principles about abrogation adopted by Allama Qanouji: A research study in light of Tafseer"Fathul Bian"

حافظ أحمد حماد [i] عادل خان[ii]

Abstract

The revelations from Allah as found in the Qur'an touch on a variety of subjects, among them are beliefs, history of the prophets, day of judgment, Paradise and Hell, and many others. Particularly important are the ahkam (legal rulings), because they prescribe the manner of legal relationships between people, as Allah wishes them to be observed. While the basic message of Islam remains always the same, the legal rulings have varied throughout the ages, and many prophets before Muhammad PBUH brought particular codes of law (shari'a) for their respective communities.

The Arabic words 'nasikh' and 'mansukh' are both derived from the same root word 'nasakha' which carries meanings such as 'to abolish, to replace, to withdraw, to abrogate'. The word nasikh (an active participle) means 'the abrogating', while Mansukh (passive) means 'the abrogated'. In technical language these terms refer to certain parts of the Qur'anic revelation, which have been 'abrogated' by others.

In the article the particular portion from a famous Tafseer "Fathul Bayan Fi Maqasid Ul Quran" written by a famous scholar of the subcontinent Al Nawab Siddiq Hassan Khan has been discussed. It will address the following question: what is the concept of Nash, particularly in the view of Siddiq Hassan khan? And how

[i] الباحث هو متخصص في التفسير وعلوم القرآن و المحاضر؛ بأكاديمية الدعوة ، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

[ii] الأستاذ المساعد كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة عبد الولي خان

he implemented it in his Tafseer? Is he follows the rules defined by the earlier scholars while covering the particular portion or he has his own concept and views regarding Nasikh and Mansokh?

***Key Words**:Rulings, abrogated,Codes of law*

نبذة عن حياة الشيخ النواب صديق حسن خان

السيد نواب صديق حسن خان هو من علماء شبه القارة الهندية وهو مشهور بين علماء هذه الخطة بسب رسوخه في العلم وثقته بالفن، وبأنه من أهل السياسة والرياسة في زمانه. والشيخ مكثر التصانيف وقد ترجم لنفسه في معظم تصانيفه[1]، ولد المترجم في بلدة بانس بريلي[2] شمالي الهند ضحى الأحد التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 1248هـ، و ينتمي هذا العالم الجليل لأسرة عريفة، طيبة الأصل، نشأ وترعرع في رحابها، ويحكي عن نفسه ذلك في كتابه قائلا: "أنا شريف النسب ولكن اسمعوا هذ الشرف لا يفيد إلا بالتقوى وشجرة نسبي موصولة إلى سيد المرسلين خاتم النبيين محمد صلي الله عليه وسلم"[3]. سافر سنة 1269هـ لتحصيل العلوم إلى دهلي، ودرس من المفتي صدرالدين خان، وقرأ عليه قراءة منتظمة، قرأ عليه أربع أجزاء من صحيح البخاري وسمع عليه باقيه، وقرأ الكتب الآلية درسا درسا، وأجاز له المفتي صدر الدين خان إجازة خاصة وكتب له شهادة بالتحصيل، ولازمه سنتين كاملتين.[4]، وقد كان يتمسك بأراء الإمام الشوكاني،والإمام ابن القيم الجوزية[5]، وأستاذه الإمام ابن تيميةرحمهم الله ولكن لم يكن من الغالين في الإلتزام الكامل بأفكارهم.

قال الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي مادحا للنواب صديق حسن خان:"وكان من هؤلاء الأبذاذ النوابغ الذين جمعوا بن أشتات الفضائل وأنواع المحامد والشمائل العلامة الأمير السيد صديق حسن خان ، أمير ولاية بهوفال، وكان اسمه من الإسماء الأولى التي طرقت أذني في طفولتي....وإن جمعه بين الرئاستين العلمية والعملية لا يتأتي إلا لأفراد الناس في فترات قليلة، وكثرت مؤلفاته التي بلغ عددها إلى إثنين وعشرين ومئتين، وإذا ضمت إليها الرسائل الصغيرة ، فبلغت إلى ثلاثمائة، وقد قام في مجال التأليف والإنتاج العلمي بما لو قامت به مجامع كبيرة في الشرق أو الغرب لاستحقت الإعجاب والتقدير"[6].

توفي رحمه الله في ليلة التاسع والعشرين من جمادي الآخر سنة سبع وثلاثمائة وألف ، وانسابت على لسانه كلمة: "أحب لقاء الله "، " احب لقاء الله"، ثم فاضت نفسه بعد ذلك[7].

نبذة عن تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن

إن تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" من أحسن مؤلفات الشيخ صديق حسن خان في تفسير القرآن ، وهو من أروع التفاسير وأغزرها مادة ، ومعنى، وفكرا، وبيانا، وكان الشيخ معجبا به كثيرا ويعده من أحسن كتبه، وأعماله، وأعتني به عناية كبيرة ، وراجع في صدد تأليفه إلى كتب الأقدمين ، واستفاد من كتب المفسرين والمحديش أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ولي الله الدهلوي،والإمام محمد على الشوكاني.

ألف الشيخ صديق حسن خان هذا الكتاب في عشر مجلدات ضخمة باللغة العربية ، وطبع أول مرة في المطبع الصديقي بإمارة بهوبال سنة 1290هـ ، وطبع في مصر بمطبعة بولاق عام 1300هـ ، وبعد ذلك تتابعت الطبعات ، وتلقاه الناس بالقبول،وأعجب به الناس كثيرا جدا.والطبعة الأخيرة التي في أيدينا هي في 15 مجلدات ضخمة بـ تحقيق ومراجعة عبدالله بن ابراهيم الأنصاري المطبوع بنفقة إدارة احياء التراث الإسلامي بدولة قطر وتمت طباعتها في المكتبة العصرية بيروت لبنان سنة 1995م.

يمتاز الكتاب بتفسير الآيات والسور بأنها في ضوء من الآيات والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعين وتابعيهم المعتبرين، وتخلو من الوقائع ، والقصص الإسرائيلية . فتزاد الأهمية والقيمة العلمية ، وتمتلئ ذهن الإنسان بمعلومات وافية كافية عن ا لموضوع ، ويشحن عقله بآراء كثيرة ،وأفكار نيرة يطمئن إليها، ويرجح بين الآراء المتعارضة للتوصل بالنتيجة ، وقد أشار إلي هذا المنهج المؤلف نفسه في مقدمة تفسيره قائلا:

" وجمعته جمعاً حسناً بعبارة سهلة وألفاظ يسيرة مع تعرض للترجيح بين التفاسير المعارضة في مواضع كثيرة، وبيان للمعنى العربي والإعرابي واللغوي مع حرص على إيراد صفوة الصفوة مما ثبت من التفسير النبوي ومن عظماء الصحابة وعلماء التابعين، ومن دونهم من سلف الأمة وأئمتها المعتبرين"[8]

كان الشيخ نواب صديق حسن خان قد أجهد نفسه في تأليف هذا الكتاب، وكان شغله الشاغل إلى أن انتهى من عمله ، وابتهل إلى الله تبارك وتعالى أن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم ، ومفيدا ونافعا للجميع. وقد حظي الكتاب بقبول عام في الأوساط الفكرية ، والعلمية ، والدينية في العالم الإسلامي.

النسخ عند القنوجي مع مقارنة التعريف عند الآخرين

1. النسخ في اللغة

يقول: النسخ في كلام العرب على وجهين:

أحدهما:النقل: كنقل كتاب من آخر وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخاً، أعني من اللوح المحفوظ، ولا مدخل لهذا المعنى في هذه الآية ومنه:

إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون[9]

أي نأمر بنسخه.

الثاني: الإبطال والإزالة وهو المقصود هنا وهذا القسم الثاني ينقسم إلى قسمين عند أهل اللغة [10] .

أحدهما:إبطال الشيء وزواله وإقامة الآخر مقامه ومنه نسخت الشمس الظل إذا اذهبته وحلت محله، وهو معنى قوله:

ما ننسخ من آية[11] وفي صحيح مسلم: «لم تكن نبوة قط إلا تناسخت» [12] أي تحولت من حال إلى حال.

والثاني: إزالة الشيء دون أن يقوم مقامه آخر كقولهم نسخت الريح الأثر، ومن هذا المعنى فينسخ الله ما يلقي الشيطان" أي يزيله، وروي عن أبي عبيد أن هذا قد كان يقع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تنزل عليه السورة فترفع فلا تتلى ولا تكتب ومنه ما روي عن أبي بن كعب وعائشة أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول[13].

أما تعريف النسخ في اللغة كذلك على معنيين كما يتضح الأمر بعد القراءة السريعة في الكتب اللغة و الأصوليين والمفسرين؛ فمنها الرفع والإزالة:

قال ابن فارس:

النسخ الكتاب والنسخ أن يزيل أمرا أكان من قبل يعمل به ثم ينسخه بحادث غيره كالآية تنزل بأمر ثم تنسخ بأخرى وكل شيء خلف شيئا فقد انتسخه، يقال نسخ الشيب الشباب، وتناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة، وأصل الميراث قائم وكذا تناسخ الأزمنة والقرون[14].

ومنه يقال: نسخ الكتاب. أي: رفع منه إلى غيره. ونسخت الشمس الظل: أزالته . قال الزجاج: "النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخَت الشمس الظل: إذا أذهبته وحلت محله"[15]. ومثاله : آية:

إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون[16]

كما يطلق على إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، كقولهم: نسخت الريح الأثر[17]، ومثاله: آية: ﴿ما ننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾[18].

2. النسخ في الاصطلاح

أما إذا نرى تعريف النسخ في الإصطلاح عند الأصوليين فهو لا يختلف عن تعريفه الإصطلاحي للنسخ:

اختلف المفسرون والأصوليون في تعريفه، ولعل تعريفه المستقر اصطلاحا أول من أظهره هو الإمام الشافعي في "الأم"، ولم يكن مطردا قبله وإن كان موجودا[19] وحدُّه عند حذاق أهل السنة: "الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه"[20] ومجموع ما يمكن أن يعرف به أنه: "رفع حكم شرعي عملي جزئي، ثبت بالنص بحكم شرعي عملي جزئي ثبت بالنص وورد على خلافه، متأخر عنه في وقت تشريعه، ليس متصلا به"[21].

أما مواضيعه وصوره فقد لخصها الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى بقوله: "وصور النسخ تختلف؛ فقد ينسخ الأثقل إلى الأخف؛ كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين ." ، "وقد ينسخ الأخف إلى الأثقل؛ كنسخ يوم عاشوراء والأيام المعدودة برمضان ." ، "وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة. كالقبلة. وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل؛ كصدقة النجوى"[22]

3. الفرق بين النسخ والإنساء عندالقنوجي

يقول صديق حسن خان: (ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعا، وإنساؤها إذهابها من القلوب)هذا هو ما عرف به صديق حسن خان النسخ والإنساء ويفرق بينهما عند قوله تعالى: ﴿أو ننسأها﴾ (بفتح النون والسين والهمز ومعنى هذه القراءة نؤخرها عن النسخ من قولهم نسأت هذا الأمر إذا أخرته، قال ابن فارس ويقولون نسأ الله في أجلك وأنسأ الله أجلك، وقد انتسأ القوم إذا تأخروا وتباعدوا ونسأتهم أنا أي أخرتهم، وقيل معناه نؤخر نسخ لفظها أي نتركه في أم الكتاب فلا يكون، وقيل نذهبها عنكم لا تقرأ ولا تذكر، وقرىء ننسها بضم النون من النسيان الذي بمعنى الترك أي نتركها فلا نبدلها ولا ننسخها[23]

ومنه قوله تعالى:

نسوا الله فنسيهم[24]

أي تركوا عبادته فتركهم في العذاب، وحكى الأزهري أن معناه نأمر بتركها يقال أنسيته الشيء أي أمرته بتركه ونسيته تركته، وقال الزجاج أن القراءة بضم النون لا يتوجه فيها معنى الترك لا يقال أنسى بمعنى ترك، قال وما روي عن ابن عباس أو ننسها أي نتركها لا نبدلها فلا يصح.

والذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر أن معنى أو ننسها نبح لكم تركها من نسى إذا ترك ، وقد ثبت في البخاري وغيره عن أنس " أن الله أنزل في الذين قتلوا في بئر معونة أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا " ثم نسخ، وهكذا ثبت[25] في مسلم وغيره عن أبي موسى قال: "كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات أولها سبح لله ما في السموات فأنسيناها غير أني حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)[26] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسئلوا عنها يوم القيامة، وقد روي مثل هذا من طريق جماعة من الصحابة ومنه آية الرجم كما رواه عبد الرزاق[27]).

النسخ وموقف صديق حسن خان منه

يقول صديق حسن خان:

> وقد جعل علماء الأصول مباحث النسخ من جملة مقاصد ذلك الفن فلا نطول بذكره بل نحيل من أراد الاستيفاء عليه على كتابنا حصول المأمول من علم الأصول فليرجع إليه، وقد اتفق أهل الإسلام على ثبوته سلفا وخلفا وهو جائز عقلا وواقع سمعا، ولم يخالف في ذلك أحد إلا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه بقوله[28].

أ– رأي اليهود في النسخ ورد صديق حسن خان عليهم

يقول صديق حسن خان:

وقد اشتهر عن اليهود أقمأهم الله إنكاره وهم محجوجون بما في التوراة فإن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من السفينة إني قد جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك وأطلعت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه، ثم قد حرم على موسى وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوان[29].

ثم يأتي بدليل آخر لإثبات النسخ والرد على اليهود حيث يقول: (وثبت في التوراة أن آدم كان يزوج الأخ من الأخت وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره، وثبت في الصحيح أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه ثم قال الله له لا تذبحه وأن موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم، وحرم عليهم العمل يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ونحو هذا كثير في التوراة الموجودة بأيديهم. والقرآن الكريم نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والإنجيل وغيرهما"[30]

هذا موقف سديد وراسخ كما اختار هذا الموقف مناع القطان[31] وغير ذلك من الذين تصدوا لعلوم القرآن.

نسخ القرآن بالسنة المتواترة وموقف صديق حسن خان منه

يقول صديق حسن خان: (وقد ذهب جمهور أهل الأصول إلى جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وخالف في ذلك الشافعي وتابعه على ذلك طائفة، واختلف المانعون فمنهم من منعه عقلا كالحارث المحاسبي وعبد الله بن سعيد القلانسي، وهو رواية عن أحمد بن حنبل، ومنهم من منعه سمعا كالشيخ أبي حامد الإسفرايني، واحتج الجمهور بأن التكليف بمتواتر السنة كالتكليف بالآية القرآنية وبأن ذلك قد وقع في هذه الشريعة المطهرة. واحتج الآخرون بقوله تعالى:

ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها[32]

وتقرير الدلالة على وجهين:

أحدهما أن ما ينسخ به القرآن يجب أن يكون خيرا أو مثلا، والسنة ليست كذلك.[33]

ثانيهما أنه قال (نأت) والضمير لله سبحانه، فيجب أن لا ينسخ إلا بما يأتي به الله.

ثم يعرض أدلة الجمهور رداً على الإمام الشافعي رحمه الله وأتباعه فيما نص: (وأجاب الأولون عن ذلك بأن المراد بقوله نأت بخير منها أو مثلها أي بحكم خير منها أو مثلها في حق المكلف باعتبار الثواب وهذا صحيح، ولا يخالفه الضمير في قوله ﴿نأت﴾ فإن السنة والقرآن جميعاً من عند الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى:

وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[34] والكلام في المسألة طويل وهو مدون في الأصول بما لا يتسع المقام بسطه، فالحق الجواز[35].

ويقول في موضع آخر:

وقال الشافعي الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة وتابعه على ذلك طائفة، واستدل بهذه الآية[36] وليس بصحيح والحق جواز نسخ الكتاب بالسنة والكلام في هذا معروف في أصول الفقه[37]

نسخ القرآن بالسنة الأحاد وموقف صديق حسن خان منه

يقول صديق حسن خان فيما نص:

وأما نسخ الكتاب بما صح من آحاد السنة فقد منعه الجمهور لأن الآحاد لا تفيد القطع والكتاب مقطوع به، وذهب جماعة من متأخري الحنفية إلى جواز نسخ القرآن بالخبر المشهور، وقال في (جمع الزوائد)[38] أن نسخ القرآن بالأحاد جائز غير واقع، وقال أبو بكر الباقلاني والغزالي وأبو عبد الله البصري أنه جائز في عصره صلى الله عليه وسلم لا بعده، وذهب جمع من الظاهرية إلى جوازه ووقوعه[39].

ثم يوضح موقفه فيما نص:

وأقول أن النزاع إن كان في قطعية المتن فلا شك أن القرآن كذلك وما صح من آحاد السنة ليس بقطع، وإن النزاع في الدلالة فإن كان القرآن المنسوخ عاماً أو محتملاً فدلالته ظنية كدلالة ما صح من الآحاد، والذي يصلح أن يكون محلا للنزاع هنا وهو الثاني لا الأول، على أنه قد وقع نسخ القطعي بالظني فإن استقبال بيت المقدس ثبت ثبوتا قطيعا متواترا، ثم أن أهل قباء استداروا إلى الكعبة وهم في الصلاة بخبر واحد، ولم ينكر عليهم ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك ثبت نسخ الوصية للوالدين والأقربين بقوله صلى الله عليه وسلم " لا وصية لوارث "[40] وكذلك نسخ قوله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾[41] بقول عائشة رضي الله تعالى عنها "ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما يشاء"[42] ونسخ قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما﴾[43] الآية بنهيه عن أكل كل ذي ناب، والكلام في هذا يطول ومحله مطولات كتب الأصول، فإن استيفاء الكلام في هذه المسألة يحتاج إلى رسالة مستقلة والله أعلم[44].

نسخ السنة بالقرآن وموقف صديق حسن خان منه

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[45] قيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لأنهم لا يرون النسخ، وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد صلى الله عليه وسلم أمره واشتاق مولده، وقد توجه نحو بلدكم، فلعله يرجع إلى دينكم، وقيل نزلت في المنافقين وإنما قال [المنافقون] ذلك استهزاء بالإسلام، وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود...

وعن ابن عباس قال أول ما نسخ في القرآن القبلة وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعدما تحول إلى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله إلى الكعبة[46].

وفي الباب أحاديث كثيرة بمضمون ما تقدم، وكذلك وردت أحاديث في الوقت الذي نزل فيه استقبال القبلة وفي كيفية استدارة المصلين لما بلغهم ذلك، وقد كانوا في الصلاة فلا نطول بذكرها، وفيه رد على من أنكر النسخ ودلالة على جواز نسخ السنة بالقرآن لأن استقبال بيت المقدس كان ثابتا بالسنة الفعلية لا بالقرآن[47].

موقفه من النسخ بالإجماع والقياس

يقول صديق حسن خان:

"وفي الدراسات لمحمد معين: قد تكلمت على بطلان النسخ الاجتهادي في أجزاء مفردة سميتها غاية الفسخ لمسئلة النسخ، وهو الأكثر في دعاوى المتأخرين لا سيما الفقهاء الحنفيين، والنسخ المعول عليه عند المتقدمين هو المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما غيره فتعدية وتجاوز من التعبد إلى التشريع" وتفصيل ذلك ذكرناه في "إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ"[48].

موقفه من حكمة النسخ في القرآن

يقول صديق حسن خان: عند تفسير قوله تعالى:

نأت بخير منها أو مثلها[49] أي نأت بما هو أنفع للناس منها في العاجل والآجل أو في إحداهما أو بما هو مماثل لها من غير زيادة، ومرجع ذلك إلى إعمال النظر في المنسوخ والناسخ فقد يكون الناسخ أخف فيكون أنفع لهم في العاجل، وقد يكون أثقل وثوابه أكثر فيكون أنفع في الآجل، وقد يستويان فتحصل المماثلة.

ويعقب عند تفسير هذه الآية:ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير[50] هذه الآية تفيد أن النسخ من مقدوراته وأن إنكاره إنكار للقدرة الإلهية والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو وأمته وفيه دليل على جواز النسخ والاستفهام للتقرير وهكذا قوله ألم تعلم أن الله له

ملك السموات والأرض[51] أي له التصرف فيهما بالإيجاد والاختراع ونفوذ الأمر في جميع مخلوقاته، فهو أعلم بمصالح عباده وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدهم بها، وشرعها لهم، وقد يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة والأشخاص، وهذا وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه فيه تكذيب لليهود المنكرين للنسخ[52].

عدد الآيات المنسوخة وموقف صديق حسن خان منها

يقول صديق حسن خان:

وعدة الآيات المنسوخات قد بلغها بعضهم إلى خمسمائة آية لكن قال الشيخ أحمد ولي الله[53] الدهلوي "وعلى ما حررنا لا يتعين النسخ إلا في خمس آيات".

وعندي أن في هذه الخمس نظرا أيضا كما بينته في دليل الطالب.

وأما الأحاديث المنسوخة فعدتها عند ابن الجوزي إحدى وعشرون حديثا، وعند الحافظ ابن القيم

أقل من عشرة أحاديث كما أفاد في أعلام الموقعين، وقال: "النسخ الواقع في الأحاديث الذي أجمعت عليه الأمة لا يبلغ عشرة أحاديث البتة ولا شطرها انتهى[54].

نفهم من قول هذا العالم الجليل " وعندي أن في هذا الخمس نظراً " أنه يرى النسخ واقع في أقل من خمس آيات ولكن وجدنا بعد التتبع أنه عند تفسير الآيات قد ذكر كثيراً منها وقد أدخله النسخ على خلاف ما قاله في مقدمة تفسيره وأن هذا القول يعارض ظاهرا مما في تفسيره من النسخ. ولكن هذا التعارض الظاهري تمحوه دراسة كتابه "إفادة الشيوخ" حيث ذكر فيه الناسخ والمنسوخ من حيث ترتيب السور ونقل أقوال المفسرين في نسخ الآيات وعقبها بالإستثناء أو التخصيص أو التقييد دون النسخ[55] الذي يظهر من تعقباته بأنه نقل في تفسيره أقوال المفسرين في النسخ، أما رأيه هو كما ذكرنا بأنه الآيات المنسوخة أقل من خمس آيات.

منهجه في تفسير الآيات المنسوخة

فإننا نلاحظ خلال دراستنا لمنهج صديق حسن خان في الناسخ والمنسوخ أن موقفه منها نلخص في النقاط التالية:

أ– إنه يعتقد أن الجمع أولى من النسخ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع ومثال ذلك:

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته[56]

قال القرطبي ذكر المفسرون[57] إنما لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوى على هذا، وشق عليهم ذلك فأنزل الله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[58] فنسخت هذه الآية روي ذلك عن قتادة والربيع وابن زيد.

قال مقاتل وليس في آل عمران من المنسوخ شيء إلا هذا.

وقيل إن قوله اتقوا الله مبين لقوله فاتقوا الله ما استطعتم[59] والمعنى اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، قال وهذا أصوب لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى[60].

ب– إنهيجزم بنسخ بعض الآيات المنسوخة والتي فيها دلالة واضحة قوية للنسخ وبالمثال يتضح الحال:

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا[61]

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: " لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: فاقرأوا ما تيسر منه[62]

"فاستراح الناس" وأخرج أبو داود في ناسخه وابن نصر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طريق عكرمة عن ابن عباس " في الآية قال نسختها الآية التي فيها ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن[63] [64]

وكذلك يقول عند تفسير قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم[65]

وعن علي رضي الله عنه قال ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وما كانت إلا ساعة يعنى آية النجوى، وعنه رضي الله عنه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى، آية النجوى كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت أأشفقتم[66]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت آية النجوى فقدمت شعيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنك لزهيد، فنزلت الآية الأخرى أأشفقتم وقال مقاتل بن احبان: إنما كانت ذلك عشرة ليال ثم نسخ، وقال الكلبي: ما كان ذلك إلا ليلة واحدة وقيل إنه لم بيق إلا يوما واحداً وقال قتادة ما كان إلا ساعة من نهار[67].

ت– إنه أحيانا يرجع بعض الأقوال الواردة على الأخرى ويجعل ظاهرة الآية سبباً للترجيح ومثال ذلك:

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم[68]

قال ابن مسعود: نسختها آية الزكاة وقال الحسن: أنها محكمة وقال ابن زيد هذا في النفل أي التطوع، وهو ظاهر الآية، فمن أحب التقرب إلى الله بالإنفاق فالأولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الأول فالأول[69].

ث- إنه كثيرا ما يتعرض للآراء حول نسخ الآية ومحكميتها ولا يوضح الراجح ولا المرجوح ولكن يعقبها بالخبر فلذلك لا تتضح شخصيته العلمية ومثال ذلك:

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

واعرض عن الجاهلين وقيل إن هذه الآية هي من جملة ما نسخ بآية السيف قاله عطاء وابن زيد.

وقيل هي محكمة قاله مجاهد وقتادة وقيل أول هذه الآية وآخرها منسوخ وأوسطها محكم، قال الشعبي: لما أنزل الله هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل قال: لا أدري حتى أسأل العالم فذهب ثم رجع فقال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك أخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما. وعن قيس بن سعد بن عبادة قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمزة بن عبد المطلب قال: والله لأمثلن بسبعين منهم فجاء جبريل بهذه الآية أخرجه ابن مردويه[70].

ج- إنه كثيرا ما يتردد بين الأقوال حول نسخ الآية إحكامها بعد بيان وجهها ومثال ذلك:

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

أياماً معدودات[71] قيل إنه كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان، قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم، وقيل إن المراد أيام شهر رمضان، وعلى هذا فتكون الآية غير منسوخة.[72] وهذه الأمثلة توجد في تفسيره كثيرو.

ح- إنه يرد على منكري النسخ من اليهود والمشركين وقد بينا موقفه من منكري النسخ من اليهود أنفا والآن نذكر مثالاً يتضح موقفه من منكري النسخ من المشركين والرد عليهم وبالمثال يتضح الحال:

يقول صديق حسن خان عند تفسير قوله تعالى:

وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق[73] هذا شرع منه سبحانه وتعالى في حكاية شبهة كفرية ودفعها

ثم يعقب عند تفسير قوله تعالى: والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام أي أنه أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح لخلقه وبما يغير وما يبدل من أحكامه، وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار. قالوا أي كفار قريش الجاهلون للحكمة في النسخ إنما أنت يا محمد صلى الله عليه وسلم مفتر أي كاذب مختلق على الله فتقول عليه بما لم يقل حيث تزعم أنه أمرك بشيء ثم تزعم أنه أمرك بخلافه فرد الله سبحانه وتعالى بما يفيد جهلهم فقال:

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ شيئا من العلم أصلا أو لا يعلمون حقيقة القرآن وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته أو لا يعلمون بالحكمة في النسخ فإنه مبني على المصالح التي لا يعلمها إلا الله سبحانه فقد تكون في شرع هذا الشيء مصلحة مؤقتة بوقت ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شرع غيره.

ثم يبن وجه حكة النسخ ويرد على منكريها:

وفيه التخفيف على العباد ولو انكشف الغطاء لهؤلاء الكفرة لعرفوا أن ذلك وجه الصواب ومنهج العدل والرفق واللطف.

ثم يبيّن سبحانه وتعالى لهؤلاء المعترضين على حكمة النسخ الزاعمين أن ذلك لم يكن من عند الله وأن رسوله صلى الله عليه وسلم افتراه فقال:

﴿قل نزله﴾ القرآن المدلول عليه بذكر الآية ﴿روح القدس﴾ بضم الدال وسكونها سبعيتان والقدس من التطهير والطهارة، والمعنى نزله الروح المطهر من أدناس البشرية وهو جبريل عليه السلام فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير ﴿من ربك﴾ أي ابتداء تنزيله من عنده سبحانه وتعالى﴿بالحق﴾ أي متلبساً بكونه حقاً ثابتاً لحكمة بالغة ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ على الإيمان فيقولون كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا ولأنهم أيضاً إذا عرفوا ما في النسخ من المصالح ثبتت أقدامهم على الإيمان ورسخت عقائدهم[74].

الخاتمة

تبين لنا مما سبق في هذا البحث الملخص المختصر أن علم "الناسخ والمنسوخ" من العلوم الشرعية الأساسية التي تقوم عليها علوم القرآن والسنة، وأن مشروعيته ثبتت بالقرآن والحديث الشريف، وإجماع من يعتد بإجماعهم من الأمة، خلا غلاة الرافضة.وأن النسخ كما يتعلق بالقرآن الكريم فهو متعلق بالسنة النبوية، وأن القرآن ينسخ القرآن كما ينسخ السنة.

والنواب صديق حسن لم يختلف في مباحث النسخ عن المفسرين والعلماء المتقدمين من حيث معناها اللغوي والإصطلاحي ووجودها في القرآن والحديث ولكنه

يختلف عنهم من حيث عدد الآيات المنسوخة وقد إعتنى كثيرا لهذا المبحث في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن وقد حرر كتابا خاصا لأهمية الناسخ والمنسوخ، بعنوان "إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ" وهو يجري على منهج الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في قضية الناسخ والمنسوخ كون الآيات المنسوخة غير محصورة كما بين الشاه ولي الله قائلا:"....على ما حررنا لا يتعين النسخ إلا في خمس آيات..."[75]

الحواشي والهوامش

[1]: مثل إبقاء المنن بإلقاء المحن (يعني خود نوشت سوانح حيات) لـ نواب صديق حسن خان بتسهيل محمد خالد سيف المطبوع : دار الدعوة السلفية شارع شيش محل لاهور ، الطبعة الثانية جمادي الثاني 1429 هـ يوليو 2008م.

2:بريلي:مدينة في الولاية الشمالية ، تبعد عن دلهي 122 ميلا، في جهة الشرق الجنوبي ، وهي مشهورة في أعمال الخشب، انظر: الهند في العهد الإسلامي لـ عبد الحي الحسني ،ص 80،دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الطبعة الأولى 1392هـ .

3: إبقاء المنن بالقاء المحن ص 25.

4: أنظر الحطة في ذكر الصحاح الستة ص 173.

5: هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي بن زيد الدين الزرعي ، اشتهر بـ بابن القيم الجوزية، لأن والده كان قيما على مدرسة تسمى الجوزية، ولد سنة 691هـ وكانت وفاته في سنة 751هـ . أنظر: البداية والنهاية للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير202/14 ، الطبعة الأولى سنة 1408هـ المطبوع من دار الريان

6: مقدمات الإمام أبي الحسن علي الندوي لـ سيد أحمد زكريا الغوري الندوي، ص 138، الطبعة الأولى 2010م ، المطبوع من دار ابن كثير للنشر والطباعة والتوزيع بدمشق.

7: مآثر صديقي ص 324، وأنظر: دعوة الأمير العالم صديق حسن خان وأحتسابه لـ على بن أحم الأحمد ص 84.

8: أنظر مقدمة فتح البيان ص 21.

9 سورة الجاثية رقم الآية 29.

10 فتح البيان جـ 1 ص 245.

11 سورة البقرة رقم الآية 10

12 صحيح مسلم جـ 4 ص 2279 مقدمة كتاب الزهد والرقائق رقم 53 حديث رقم 14-(2967).ومسند أحمد بن حنبل جـ 4 ص174.

13 فتح البيان جـ 1 ص215.

14 فتح البيان جـ 1 ص 245.

15 : " زاد المسير في علم التفسير" لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، ص80، نشر المكتب الإسلامي، دمشق بيروت في السنة 1964م.

16 : سورة الجاثية رقم الآية 29

17 : الجامع لأحكام القرآن" (1/ 62)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق عبد الرزاق المهدي. نشر دار الكتاب العربي. بيروت (1997م ، وأنظر: ""المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي " مقدمة ص 120/1.. طبعة دار ابن حزم، بيروت في السنة 2002م.

18 : سورة البقرة رقم الآية 106.

19 :" المقدمات الأساسية في علوم القرآن" لـ د. عبد الله بن يوسف الجديع ص207، النشر والتوزيع مؤسسة الريان، بيروت سنة الطبع 2001م..

20 : " المحرر الوجيز" ص 120/1.

21 : "المقدمات الأساسية في علوم القرآن" ص207.

22 : " المحرر الوجيز" (ص120.

23 فتح البيان جـ 1 ص 246-247.

24 سورة التوبة رقم الآية 67.

25 فتح البيان جـ 1 ص 247.

26 سورة الصف رقم الآية 2

27 فتح البيان جـ 1 ص 245-247.

28 فتح البيان جـ 1 ص 246.

29 فتح البيان جـ 1 ص 246.

30 فتح البيان جـ 1 ص 246.

31 انظر مباحث في علوم القرآن ص234.

32 سورة البقرة رقم الآية 106.

33 فتح البيان جـ 1 ص 247.

34 سورة النجم رقم الآية 3.

35 فتح البيان جـ 1 ص 248-249.

36 الآية هي: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) سورة البقرة رقم الآية 106.

37 فتح البيان جـ 1 ص 247.

38 هو جمع الجوامع في أصول الفقه: لتاج الدين عبد الوهاب ابن على ابن سبكي الشافعي توفي سنة 771هـ انظر: كشف الظنون جـ 1 ص 590.

39 فتح البيان جـ 1 ص 249.

40 سنن الترمذي جـ 4 ص 433 كتاب الوصايا رقمه 31 باب ما جاء لا وصية لوارث رقمه 5 حديث رقم 2120- 2121. قال أبو عيسى: وفي الباب عن عمر بن خارجة وأنس وهو حديث حسن صحيح.

41 سورة الأحزاب رقم الآية 52.

42 سنن الترمذي بلفظ "ما مات رسول الله" جـ5 ص 356 كتاب التفسير رقمه 48 باب من سورة الأحزاب رقم 34 حديث رقم 3216. قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

43 سورة الأنعام رقم الآية 145.

44 فتح البيان جـ 1 ص 250.

45 سورة البقرة رقم الآية 142.

46 فتح البيان جـ 1 ص 297-298.

[47] فتح البيان جـ 1 ص 297.

[48] فتح البيان جـ 1 ص 250.

[49] سورة البقرة رقم الآية 106.

[50] سورة البقرة رقم الآية 106.

[51] سورة البقرة رقم الآية 107.

[52] فتح البيان جـ 1 ص 247-248.

53 ترجمته قد مرت في ص 20.

54 فتح البيان جـ 1 ص 250.

55 : ينظر إلى كتابه إفادة الشيوخ بقدار الناسخ والمنسوخ ص 33 وما بعدها ، وينظر كذلك مجموعه علوم قرآن ل عبد الله سليم و شاهد محمود ص 278-431.

56 سورة آل عمران رقم الآية 102.

57 انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ 4 ص 157 وتفسير البغوي جـ 1 ص 333.

58 سورة التغابن رقم الآية 16.

[59] سورة التغابن رقم الآية 16.

[60] فتح البيان جـ 2 ص 300.

[61] سورة المزمل رقم الآية 1-2.

[62] سورة المزمل رقم الآية 20.

[63] سورة المزمل رقم الآية 20.

[64] فتح البيان جـ 14 ص 379.

[65] سورة المجادلة رقم الآية 12.

[66] سورة المجادلة رقم الآية 13.

[67] فتح البيان جـ 14 ص 28-29.

[68] سورة البقرة رقم الآية 215.

[69] فتح البيان جـ 1 ص 432.

70 فتح البيان جـ 5 ص 109.

71 سورة البقرة رقم الآية 184.

72 فتح البيان جـ 1 ص 363.

73 سورة النحل رقم الآية 101-102.

74 فتح البيان جـ 7 ص 316-117.

75 : الفوز الكبير في أصول التفسير للشاه ولي الله الدهلوي ص 52.